

الدولة في فكر هيغل

nbrasmhmd151@gmail.com

م.م. نبراس محمد حسن*
باحثة من العراق

ملخص :

يعد هيغل من المنظرين الاوائل لفلسفة الدولة الحديثة ، القائمة على نقطتين: النقطة الاولى (المبدأ الديالكتيكي)، الذي يعني كل تغيير نتيجة تعارض بين حالات متناقضة، يؤدي الى تحديد صورة جديدة لحالة جديدة أرقى من سابقتها .

فكان التناقض الديالكتيكي، هو النقطة المركزية في ذلك المنطق، والقاعدة الأساسية التي يقوم عليها فهم جديد للعالم، يؤدي الى نشوء نظرية جديدة مختلفة عن غيرها.

عرفت فلسفة هيغل بالفلسفة الكمالية، معتمدة على نظرية التطور الحتمي للتاريخ حتى الوصول الى الكمال، التي عرفت بالديالكتيكة او الجدلية .

اما النقطة الثانية (الدولة القومية)، فكانت نظريته التي أفضت الى معنى خاص للدولة، ظل يميز النظرية الالمانية خلال القرن التاسع عشر الميلادي، فالحكام والمحكومين خاضعون لقانون العقل، فالدولة هي (واقع مجسد لفكرة اخلاقية)، بل هي (العقل في ذاته ومن أجل ذاته)، فالفرد لا يصل الى (العقل الكلي)، الا من خلال الشعب، وفي الشعب تتحقق السمة الاخلاقية .

فالدولة الهيجلية، هي دولة شمولية وقومية وعقائدية وبيروقراطية في الشكل، إلا أنَّها في الجوهر متبدلة ومتغيرة بفعل جدلها الخاص، فهي وإن كانت محافظة من حيث النظام والدستور، إلا أنَّها ثورية في طبيعة سلطاتها وعلاقاتها الداخلية والخارجية .

كلمات مفتاحية : هيكل، الدولة، الدولة الهيكلية.

The State in Hegel's Concept

Assist. Lecturer Nibras Mohamed Hassan

ABSTRACT

Hegel is one of the first theorists of the modern state philosophy, based on two points: the first point (the dialectical principle), which means every change as a result of a conflict between contradictory cases, leads to the identification of a new image of a new state that is superior to its predecessor.

The dialectical contradiction was the central point in that logic, and a basic basis upon which a new understanding of the world rests, leading to the emergence of a new theory different from others.

Hegel's philosophy was known as the 'Perfectionism Philosophy', based on the theory of the inevitable development of history until reaching perfection, which was known as dialectics or Polemical.

As for the second point (the nation-state), his theory which led to a special meaning of the state, continued to distinguish the German theory during the nineteenth century AD, where the rulers and the ruled are subject to the law of reason. The state is (a reality that embodies a moral idea), rather it is (the mind in itself and for itself, the individual does not reach the (total mind), only through the people, and in the people the moral character is realized.

The Hegelian state is a totalitarian, national, ideological and bureaucratic state in form, but in essence it is interchangeable and variable by its own dialectic. Although it is conservative in terms of system and constitution, it is revolutionary in the nature of its powers and internal and external relations.

KEYWORDS: Hegel's , state ,Hegelian state.

المقدمة

إنَّ مفهوم الدولة تطرق اليه عدد كبير من الباحثين والكتاب، نظراً لأهمية هذا الموضوع وحيويته وعلاقته المباشرة مع جميع أفراد الدولة، وعليه فالدولة عند هيغل، هي ثمرة من ثمرات الفكر السياسي، التي تعكس صورة المانيا المنقسمة على عدد من الوحدات السياسية المستقلة، مما زاد حماس هيغل الى توحيد شمل دولة المانيا، لتكون دولة واحدة، تتجسد الهوية الالمانية على يد زعيم عسكري الماني .

ولد جورج ولهم فريدريك هيغل في عام 1770 في مدينة تشوجارت الألمانية، حيث كانت ألمانيا مقسمة على 80 وحدة سياسية مستقلة، قلدته المملكة البروسية أرفع أوسمتها في عام 1830، وعين رئيساً لجامعة برلين عام 1831، وتوفي هيغل على اثر إصابة بمرض الكوليرا في العام نفسه، اتصفت الدولة عند هيغل ككل متكامل يتكون من أجزاء عدة مترابطة مع بعضها البعض أما عن الدراسات السابقة الخاصة في الموضوع فعلى سبيل المثال (نقد الجدل الهيجلي من الرومانسية الثورية إلى البرغماتية نهاية التاريخ للكاتب حسن حماد من جمهورية مصر العربية، و) الفلسفة السياسية المعاصرة: تصور هيغل السياسي) للكاتب محمد أندلسي من الجزائر، و) فلسفة التاريخ عند هيغل) للكاتب ابراهيم الحيدري من المغرب وغيرها من الدراسات لا مجال لذكرها. فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها، بماذا اتسمت فلسفة هيغل السياسية عن الدولة؟ اشكالية البحث: فان هيغل تمادى في تعظيم سلطة الدولة وشأنها، الى حد ابراز سلطة الملك التي طغت على السلطة التنفيذية والتشريعية هذا من جانب، من جانب آخر تقديس شخص الملك بصورة الزعيم المقدس، الذي يوحد الامة الألمانية المجزأة من تجسيد الهوية الألمانية .

منهجية البحث : تنطلق منهجية البحث لهذه الدراسة بالاعتماد على المنهج التاريخي والتحليلي والوصفي فضلاً عن المنهج الاستقرائي والاستنباطي، لتتصف الدراسة بالصفة العلمية .

هيكلية البحث : يتضمن البحث اربعة محاور، حيث المحور الاول (مفهوم ونشوء الدولة في فكر هيغل ، ويُقسم على قسمين الاول (مفهوم الدولة عند فكر هيغل)، والثاني (نشوء الدولة في فكر هيغل)، أما المحور الثاني (طبيعة الدولة ووظائفها في فكر هيغل)، يحتوي على قسمين الاول (طبيعة الدولة في فكر هيغل)، والثاني (وظائف الدولة في فكر هيغل)، أما المحور الثالث (مراحل الدولة واشكال حكمها في فكر هيغل)، يحتوي على قسمين الاول (مراحل الدولة في فكر هيغل)، والثاني (اشكال حكم الدولة في فكر هيغل).

المحور الاول

مفهوم ونشوء الدولة في فكر هيغل

يمكن التوصل الى مفهوم هيغل للدولة، عبر النظر الى فلسفته التي نشأت في ظل ظروف ممثلة بالتناقضات، اذ وعى هيغل على احداث الثورة الفرنسية، التي نجحت

في القضاء على الاقطاع لكي يكون مفكراً للبرجوازية الالمانية، لكن البرجوازية الالمانية ظلت مفككة ولم تستطيع أن تواجه النظم الاقطاعية التي مزقت المانيا على عشرين دويلة تفتقد الى دولة موحدة، سيتم التطرق الى المحور الاول فيما يخص مفهوم ونشوء الدولة في فكر هيجل، في قسمين الاول يختص بمفهوم الدولة والثاني يختص بنشوء الدولة في فكر هيجل .

القسم الاول

مفهوم الدولة

لا يختلف مصطلح (الدولة) عن غيره من مصطلحات اخرى كثيرة في مجال المعرفة السياسية، من حيث احتوائه على تعريفين اساسيين، احدهما لغوي والآخر اصطلاحى، فمن الناحية اللغوية ترتبط كلمة الدولة بالفعل دال، يدول وجمعها دول، أي بمعنى دار او تبدل او تغير من حال الى حال آخر .⁽¹⁾

أما اصطلاحاً فمعناها الواسع : هي مجموعة منظمة لها على وجه العموم ركيزة اجتماعية هي الامة، فيقال في هذا المعنى مثلاً إن إيطاليا واسبانيا وفرنسا دول .⁽²⁾

الاتجاه الغالب من المفكرين يميل الى الاخذ بالمفهوم التالي للدولة (هي احدى المؤسسات الاجتماعية، تتميز عنها بأنها تحكم على ضوء قوانين تسنها وتنشرها حكومة لها، عدا عن هذه السلطة التشريعية، سلطة تنفيذية، تفرض النظام والعدل على جميع من يسكن في بقعة جغرافية من الارض بينة المعالم والحدود) .⁽³⁾ وفي ضوء هذا التعريف يمكن تحديد العناصر الأساسية للدولة وهي:

- شعب مستقر
- اقليم معين من الأرض
- سلطة تمارسها الدولة على من يقيم ضمن حدودها
- الى حد ما السيادة^(*)

هناك العديد من التعريفات الخاصة بالدولة، تكاد تكون مساوية

(1) محمد فواد عبد الباقي ، معجم الفاظ القرآن الكريم ، مج 1، ط1، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 ، ص425.

(2) اندريه هوريو ، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية ، ترجمة : علي مقلد وشقيق حداد وعبد الحسن سعد ، ج2، ط2، بيروت، الاهلية للنشر والتوزيع ، 1977، ص96 .

(3) عادل زغبوب ، الدولة الاتحادية 0مفهومها - تحليلها - مستقبلها (ط1، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، لبنان ، 1979، ص21.

(*) يختلف الباحثون بشأن السيادة هل تعد عنصر من عناصر الدولة ام لا ؟ وقد ذهب البعض الى عدها عنصر من عناصر الدولة لا بل اساسي فيها ، في حين ذهب اخرون الى عدها خاصية من خصائص الدولة التقليدية لا غير .

لعدد المفكرين الذين كتبوا عنها، مما أدى إلى صعوبة العثور على تعريف علمي جامع ومحدد لمصطلح الدولة .

أولى المحاولات لتقديم تحديد علمي للدولة في ألمانيا كانت في أواخر القرن التاسع عشر، لأن الدولة الألمانية الحديثة كانت قد تكونت وقتئذ بشكل إمبراطورية، فأراد منظروها إعطائها وصفا ينطبق على حالتها الواقعية، كانت عناية هيغل بالتاريخ هي محور فلسفته السياسية والاجتماعية، فقد اهتم بتاريخ الحضارة الغربية وتأريخ القانون، وعليه اعتمدت فلسفة هيغل على المنهج التاريخي لدراسة كل النظم الفكرية ليحل المنهج التاريخي محل المنهج التحليلي، يمكن التوصل إلى مفهوم الدولة عند هيغل عموماً والتي تدور حول نقطتين⁽⁴⁾:

الأولى : - الادعاء بأن المبدأ الديالكتيكي (المنهج الجدلي) منهج جديد يكشف عن ارتباطات وعلاقات في المجتمع، والتاريخ لا يمكن أن يراها منهجاً آخرًا .

الثانية: - نظرية في الدولة القومية، إذ أضفى معنى خاص للدولة، ظل يميز النظرية الألمانية خلال القرن التاسع عشر .

ولكي نفهم معنى المبدأ الديالكتيكي (المنهج الجدلي)، لابد من إعادتها إلى أصلها (أفلاطون)، لأنه أول من طرح هذه الفكرة، وتعني فن الحوار الممنهج طبقاً لأستاذه سقراط، مع تغيير طريقة المناقشة بالارتفاع بشكل لولبي مع (تلاميذه المدعوين لحكم المدن الاغريقية)، فكانت طريقة تعليمية تحترم الآراء وعقيدة متفهمة أكثر فاكتر⁽⁵⁾. فالمبدأ الديالكتيكي (المنهج الجدلي) عند هيغل يعني كل تغيير نتيجة تعارض بين حالات متناقضة أو متعارضة، يؤدي إلى تحديد صورة جديدة لحالة جديدة أعلى وأرقى من سابقتها⁽⁶⁾.

اهتم هيغل بالتاريخ العام وهو بالنسبة له الجدلية الحية، وليست الجدلية والتاريخ سوى شيء واحد، مؤكداً ذلك بقول هيغل عندما رأى نابليون بعد معركة بينا فكتب آنذاك (انه لشيء رائع أن يرى المرء روح العصر مجسدة، وأن يرى مثل هذا الشخص، مركزاً هنا على

(4) حميد فاضل حسن التميمي، الدولة اليهودية في الفكر الاسرائيلي، اطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية، 2004، ص 38.

(5) جان غيتون، الفكر والحرب، ترجمة: المقدم الهيثم الايوبي، اكرم ديري، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بناية برج الكارون - ساقية الجنزير - 1980، ص 68.

(6) مهدي محفوظ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث، ط3، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2007، ص 224.

نقطة واحدة ، جالسا على حصانه ، ومادا يده الى العالم ومسيطر
(عليه).⁽⁷⁾

(7) جان غيتون، مصدر سبق ذكره، ص73.

أول من أشاد منطقا كاملا وعلى هذا الاساس، كان التناقض المبدأ
الديالكتيكي (المنهج الجدلي)، هو النقطة المركزية
في ذلك المنطق والقاعدة الاساسية التي يقوم عليها
فهم جديد للعالم، وتنشا به نظرية جديدة نحوه ،
تختلف كل الاختلاف عن النظرة الكلاسيكية .⁽⁸⁾

**التعريف بالدولة يعد من مهام
الفلسفة، إذ أنه من خلال
الضرورة التاريخية فقد انتجت
الدولة كمبدأ للوحدة، وإنَّ
الحكام والمحكومين لا يعرفون
ماهيتها**

(8)
احمد
باقر
الصدر

يعرف هيغل الدولة حيث يقول (إنَّ التعريف بالدولة
يعد من مهام الفلسفة، إذ أنه من خلال الضرورة
التاريخية فقد انتجت الدولة كمبدأ للوحدة، وإنَّ
الحكام والمحكومين لا يعرفون ماهيتها. أنَّهم يدركون الدولة لكونها
قوة ارغام او قوة اكراه . مع ذلك فانهم لا يعرفون أنَّ قدرة التحكم لا
يمكنها أن تعود الا للعقل الفعال . ولكي تكون الدولة فعلا دولة فانه
من الضروري أن تكون متجسدة فعليا في حكام لا يملكون الا قوة
العقل).⁽⁹⁾

فلسفتنا، ط4، مؤسسة دار الكتاب
الاسلامي، 2008، ص191.

اتسمت فلسفة هيغل السياسية عن الدولة بالكليانية (الشمولية)،
وهي رد فعل فلسفي على الواقع التاريخي الذي ساد لعصور طويلة
الذي يدعوه (المجتمع المدني)، الذي يسوده الشقاق بين الافراد
والجماعات المتعارضة، لأنَّ المصالح الفردية هي وحدها السائدة
في المجتمع، وازداد التمسك بالكلي عندما ارتفعت في العصر
الحديث شعارات الحرية العامة .⁽¹⁰⁾

(9) نقلا عن سيزار احمد النجار
: دراسات في علم السياسة ، دار
دجلة ، عمان ، 2005، ص 193 .

وفي حالة عكس هذه الفلسفة الجدلية على الدولة، فأنها تكون
عندئذ المرحلة الثالثة في سير النظم السياسية والاجتماعية، التي
تبدأ من اسرة تقوم على التعاون والمسؤولية الى مجتمع يقوم على
التنافس والتناحر، ثم اخيرا دولة ترتقي في منزلتها عند هيغل لتصل
الى مستوى الروح ، التي تتسم بالإنصاف التي تناول جميع النواحي
بطريقة موضوعية، كما أنَّها السبيل الوحيد الذي يستطيع الفرد
بواسطتها أن يبلغ هذه المرحلة من الموضوعية والصدق .

(10) عبد الرضا حسين الطعان،
تاريخ الفكر السياسي الحديث،
وزارة التعليم العالي والبحث
العلمي، جامعة بغداد ، ص516 .

(11) مهدي محفوظ ، مصدر سبق ذكره ، ص 226.

الدولة عند فلسفة هيغل السياسية هي الحقيقة العظمى، أي روح العالم ، وهي غير منفصلة عن التاريخ، ومن وجهة نظره يجب أن يتلائم مفهوم الدولة مع التاريخ.⁽¹¹⁾

يعد هيغل من أعظم الفلاسفة تأثيراً في جميع العصور، ففلسفته شكلت نقطة تحول مهمة في تاريخ الفلسفة ، لأنها انطلقت من الجماعة التي تمثل الكل فهي حقيقية، على خلاف فلاسفة القرن الثامن عشر، الذين جعلوا من الفرد نقطة البدء في فلسفتهم السياسية، ففلسفة هيغل السياسية هي المصدر المباشر وغير المباشر لجميع الاتجاهات الفلسفية، التي انطلقت من القرن التاسع عشر، وحسب رأي الأغلبية يعد أول فيلسوف قدم فلسفة متكاملة لتفسير الظاهرة السياسية، والتي لها علاقة بالفكر السياسي اللاحق لاسيما الماركسية الوجودية والفلسفة الوضعية و التحليلية وغيرها من الأفكار السياسية الأخرى .

القسم الثاني

نشوء الدولة في فكر هيغل

مفهوم الدولة ليس قديماً جداً، فمعظم الأفكار التي تعبر عن القدرة والنظام تعود بالأصل إلى المدينة اليونانية والامبراطورية الرومانية . فكرة الدولة في فكر هيغل، هي (واقع مجسد للفكرة الاخلاقية)، بل هي (العقل في ذاته ومن أجل ذاته)، فالدولة تقوم على أساس واقعي.⁽¹²⁾

(12) نقلاً عن فتحي التريكي : مفهوم الدولة في الحقل الفلسفي المعاصر ، مجلة الفكر العربي المعاصر ، مركز الانماء القومي، بيروت ، العدد 24 ، 1983 ، ص 49.

توجد فكرة الدولة في كتاب هيغل (مبادئ فلسفة الحق) على نحو مباشر في العرف والقانون، وعلى نحو غير مباشر في الوعي الذاتي للفرد، عندما نتجاوز اخلاق الفرد لنصل إلى الكل الاخلاقي المتمثل في الاسرة والمجتمع المدني والدولة ، ومن خلال هذه الحياة تبرز أهمية الدور الذي تلعبه الدولة في هذا المجال .⁽¹³⁾

(13) هيغل ، اصول فلسفة الحق ، ترجمة :امام عبد الفتاح ، ج1، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1966 ، ص 141 .

(14) محمد سعيد طالب ، الدولة الحديثة والبحث عن الهوية ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، رام الله ، 1999، ص 185.

فالدولة (مؤسسات - هيئات - مجتمع مدني - قوانين - دستور سياسي) هي التجسيد الكلي من الاخلاق الموضوعية فالحق بوصفه قانون هو الحق في وجوده الموضوعي .⁽¹⁴⁾

علماً أنَّ هيغل يعالجها من جانب العلم الفلسفي للدولة ، وأنَّ الفرد عنده هو ذلك الشخص المفكر المحبوس، ومحصور الى غير رجعة بين الذاتية الخاصة المتناهية وبين الرغبة للوصول الى الكلي ، فالحل الوحيد هو الافتراض بأنَّ الفرد لا يصل الى (العقل الكلي) الا من خلال وساطة كل واحد عضوي (الشعب)، وفي الشعب تتحقق الاخلاقية .⁽¹⁵⁾

(15) جان توشيار ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة : علي مقلد ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، 1987، ص 386

وخير دليل على ذلك هو كتاب هيغل (فلسفة الحق) الذي يرفض نظرية العقد الاجتماعي كما ذهب فلاسفة القرن الثامن عشر (هوبز - روسو) ، لان العقد يحقق غرضاً مؤقتاً ، ولكن الدولة حقيقة دائمة، وهي سابقة منطقياً على المجتمع المدني وعلى الافراد، والدولة هي التي تتولى المهام الروحية والدينية .⁽¹⁶⁾

(16) هيغل ، اصول فلسفة الحق ، مصدر سبق ذكره ، ص 146 .

(17) المصدر نفسه ، ص 146 .

لذلك فقد دأب على نقد الكنيسة الكاثوليكية، ومال الى تأييد دعوى لوثر في وحدة الدولة والدين ، والغاء ثنائية القصر والله .⁽¹⁷⁾ حيث هاجم هيغل الدعوة الى وحدة الدولة والكنيسة، لأنَّ الشيوعية هي سمة من سمات الدولة القديمة القائمة على اساس الدين، هي دولة طغيان، لكن هذا لا يمنع من التمسك بجوهر الدين الحق الاصيل .⁽¹⁸⁾

(18) محمد الشيخ ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل ، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، لبنان ، 2008 ، ص 310 .

والدين هو احد المظاهر الأكثر تعبيراً عن نفس شعبها ، لأنه ظاهرة فوق الفرد واسمى منه .⁽¹⁹⁾

والشعب عند هيغل لا يتألف من مجموعة من (الافراد - الذرات)، ولكنه كيان موضوعي يكون الافراد بمثابة اعضاء فيه

والشعب عند هيغل لا يتألف من مجموعة من

(19) جان توشيار ، مصدر سبق ذكره ، ص 386 .

(الافراد - الذرات)، ولكنه كيان موضوعي يكون الافراد بمثابة اعضاء فيه، فهو ينظر اليه نظرة ايجابية بقدر ما يمثل كل اخلاقي وتنظيم روحي.⁽²⁰⁾

(20) امام عبد الفتاح ، هيغليات، مجلد 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة، 1996، ص 143.

قدم هيغل تصوراً حقيقياً للدولة ابتداء من الاسرة بوصفها (وحدة تضم اعضاؤها داخلها)، ومن ثم المجتمع المدني، الذي تكون نتيجة تفكك الاسرة، حتى يصبح اعضاؤها اشخاصاً مستقلين، وهنا تبدأ مرحلة التعارض بين المصلحة الفردية (الخاصة) والمصلحة العامة وصولاً الى الدولة لأنها التجسيد الحقيقي لحرية الفرد.⁽²¹⁾

(21) امام عبد الفتاح ، مصدر سبق ذكره ، ص 572 .

يتميز المجتمع المدني عند هيغل بـ (هيمنة الشقاق بين الافراد والجماعات المتعارضة)، الواقع التاريخي تميز تمثل بهذه الصفة، لان المصالح الفردية (الخاصة) هي وحدها السائدة في المجتمع بعكس المصلحة العامة.⁽²²⁾

(22) عبد الرضا حسين الطعان ، مصدر سبق ذكره ، ص516.

فالدولة كما تصورها هيغل ليست مؤسسة قائمة على المنفعة، وتوفير خدمات عامة وتطبيق القانون ، واداء الواجبات البوليسية، وضبط المصالح الصناعية والاقتصادية ، كل هذه الوظائف من تنتمي الى المجتمع المدني.⁽²³⁾

(23) جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، كتاب الرابع ، ترجمة : علي ابراهيم السيد ، دار المعارف ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، نيويورك ، 1971، ص 877 .

يصف هيغل الدولة قائلا: (هي الحقيقة الفعلية للفكرة الموضوعية، أنَّها الروح الأخلاقية بوصفها ارادة واضحة لذاتها، تدرك ذاتها وتحقق ذاتها بقدر هذا الادراك، والدولة توجد مباشرة في العادات الاخلاقية).⁽²⁴⁾

(24) هيغل ، مصدر سبق ذكره ، ص 146.

يرى هيغل في التاريخ والحضارة الجرمانية ذات الديانة المسيحية مظهر للقوة العاقلة والعناية الالهية، لتنظيم دوافع البشر.⁽²⁵⁾

(25) محمد حسين نصر ، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون وهيغل (دراسة مقارنة) ، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، 1993، ص70-ص71.

**طبق هيغل منهجه الجدلي
على ما حققته الامم من
ابداع وخلق في الفن والقانون
والاخلاق**

واخيرا يمكن القول لقد طبق هيغل منهجه الجدلي على ما حققته الامم من ابداع وخلق في الفن والقانون والاخلاق، حيث رأى الروح القومية انما قد بلغت مستوى النضج والوعي بذاتها في الدولة القومية الحديثة في غرب أوروبا.

المحور الثاني

طبيعة الدولة ووظائفها في فكر هيغل

ان هيغل يرسم صورة للتطور التاريخي، أما الاطار العام الذي يسير فيه هذا التطور، فهو يمتد من العلاقة المباشرة بين الفرد المنعزل والموضوعات المعطاة ، ليمر بمرحلة تفترض تجمعا واعيا للأفراد الذين نظموا نشاطهم على مستوى واحد من تقسيم العمل، باعتبارها المرحلة الاولى وهي الاسرة، وبعدها المجتمع المدني الذي يضم الأفراد والطبقات والمؤسسات الاقتصادية كافة ، والتي تنظم في

ظل القانون المدني، وهو ايضا مجال لتقسيم العمل والتنافس بين المصالح الفردية (الخاصة) المتضاربة .

سيتم التطرق الى المحور الثاني فيما يخص طبيعة الدولة ووظائفها في فكر هيغل في قسمين، الاول يختص بطبيعة الدولة في فكر هيغل، والثاني يختص بوظائف الدولة في فكر هيغل .

القسم الاول

طبيعة الدولة في فكر هيغل

تحدد طبيعة العلاقة بين الدولة والمجتمع المدني من وجهة نظر هيغل، كون المجتمع المدني لا يقوم الا عبر الدولة، المؤهلة لحل اشكالياته الداخلية، وتأمين استقرار المجتمع المدني وتطوره بصورة نمطية ، لذلك يتوجب عليه خضوع المجتمع المدني الى سلطة الدولة .⁽²⁶⁾

كانت الاسرة عماد المجتمع المدني بخاصة والدولة بعامة، حيث قال هيغل : (إنَّ حق جزيئة الذات في الاشباع) .⁽²⁷⁾ وهنا يقصد هيغل الحرية الذاتية على انها محور ومركز الاختلاف بين العصور القديمة والحديثة .

المجتمع المدني على حد تعبير هيغل هو : (الحيز الاجتماعي والاخلاقي الواقع بين العائلة والدولة) .⁽²⁸⁾

وخير دليل على ذلك، هو تمسك هيغل في عهد مبكر من حياته الفكرية بالرأي القائل (: إنَّ النظام القائم على الشقاق والتنازع بين الافراد والجماعات المتعارضة ينبغي أنَّ يحل محله شمول حقيقي يتجسد في مجتمع متمزج فيه كل المصالح الخاصة والفردية وتتكامل وتندمج في كل واحد) .⁽²⁹⁾

كما انه هاجم نظرية (القانون الطبيعي)، لأنها على حد تأكيده تبرر كل الاتجاهات الخطرة، التي تهدف الى اخضاع الدولة للمصالح المتعارضة للمجتمع ذي النزعة الفردية .⁽³⁰⁾

فضلا عن المجتمع المدني عند هيغل، هو العامل الأصلي في التطور الاجتماعي والعلاقات القانونية والتنظيمية، التي تتكون منها

(26) عبد الوهاب حميد رشيد ، التحول الديمقراطي والمجتمع المدني ، ط1، دار المدى للثقافة والنشر ، 2003، ص 73 .

(27) محمد الشيخ ، مصدر سبق ذكره ، ص 298 .

(28) عامر حسن فياض ، المجتمع المدني وديمقراطية التنمية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، 2009 ، ص 33- ص 34 .

(29) عبد الرضا حسين الطعان ، عامر حسن فياض و علي عباس مراد ، مدخل الى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر ، ج1، ص 138 .

(30) عبد الرضا حسين الطعان ، تاريخ الفكر السياسي الحديث، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، 1992 ، ص 525 .

الدولة ، وجميع الافكار الاخلاقية والدينية التي تصاحبها ، ليست الا صرحا علويا مبنيًا على ما تحته من الاساس الاقتصادي للمجتمع المدني⁽³¹⁾

(31) جورج سباين ، تطور الفكر السياسي، الكتاب الخامس، ترجمة: راشد البراوي، دار المعارف، القاهرة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، نيويورك، 1976، ص 1007 .

فهذه الدولة الكليانية (الشمولية)، تتولى تنظيم المجتمع المدني، وتحديد غاياته وتشريع قوانينه وإدارة اموره النيابة عن افراده وجماعاته .⁽³²⁾

وهنا يظهر التساؤل التالي : هل الدولة الكليانية (الشمولية) تعنى بالفرد وبحريته ؟

(32) محمد سعيد طالب ، مصدر سبق ذكره ، ص 189 .

الجواب: نعم، حيث تصور هيغل علاقة الدولة بالفرد، كأنهما مظهران متكاملان في نظرية الدولة الهيغلية، فمن جهة لا يمكن للفرد ان يحقق غاياته الا اذا كان عضوا في الدولة، ومن جهة اخرى فان الدولة لا يمكن أن تستمر في وجودها اذا لم تشبع طموحات الفرد، فالفرد عندما يصبح عضوا داخل الدولة، فهو لا يحمي مصالحه فحسب، بل يحقق شخصية كما يحقق حريته.

(33) امام عبد الفتاح ، مصدر سبق ذكره ، ص 139 .

هناك ثلاثة انواع مختلفة من أنظمة الحكم التي ترتبط بطبيعتها بطبيعة المجتمعات التي تحكمها وتعتمد عليها:⁽³³⁾

1. ذو طبيعة فوضوية، لأنَّ ما يحكمه المجموع الاعمى اللاوعي للحاجات وطرائق اشباعها ، فلا بد من سيطرة المجتمع (الناقصة) بسبب المصالح العامة المتسمة بالفوضى .
2. ذو طبيعة عادلة، تتحقق بإيجاد توازن بين التناقضات والعدوات القائمة في نطاق الملكية السائدة ، حيث الحرية لا يمكن تحقيقها ، إنَّ الحكومة لا تستطيع التخلص من النزاعات القائمة على المصالح الخاصة.
3. يفرض هيغل قيامه على الانضباط شبه العسكري، لأجل تحقيق الوحدة الاجتماعية الحقيقية، حيث تكون الدولة قادرة على ضمان وحدة المجتمع وتماسكه وسلامته .

نستخلص من ذلك أنَّ الدولة الهيغلية : هي دولة شمولية ، قومية، عقائدية ، بيروقراطية في الشكل، إلا أنَّها في الجوهر متبدلة متغيرة

بفعل جدلها الخاص، فهي وإن كانت محافظة من حيث النظام والدستور، إلا أنَّها ثورية في طبيعة سلطانها وعلاقاتها الداخلية والخارجية.

القسم الثاني

وظائف الدولة في فكر هيغل

الفلسفة عند هيغل تهتم بالثنائية الديالكتية، بمعنى الفكرة ونقيضها، يصوغها بمفهوم معلل، والمفاهيم الفكرية تحتاج إلى تاريخ، لكن الله وحده الذي لا يفهم بالزمان، ولا بالمكان، لأنه هو من خلق الزمان والمكان، وعندما نحاول أن نتلمس ملامح الدولة عند هيغل تبدو لنا كالروح بمراتبها الثلاث (الاسرة - المجتمع - الدولة) لتكون الدولة الكليانية (الشمولية).

وفيما ورد سابقا يمكن استخلاص ثلاث وظائف اساسية للدولة وهي :-

اولا- تحقيق الحرية : كمدخل لفهم ماهية الدولة، فان هيغل يحاول أن يوضع مكانة الفرد في الدولة، وتحديد حريته في التنظيم الاجتماعي. وهو بهذا ينتقد الفيلسوف الالمانى الكبير (امانوئيل كانت) وايضا فلاسفة الليبراليون، بكونهم تأملوا بصورة تجريدية فقط في الارادة الحرة للفرد المفكر . في حين أنَّ الحرية لدى هيغل هي حرية الاختيار، وهذه الارادة الحرة هي ليست شيئاً سلبياً، فهي تبحث عن الحرية في تنظيم معقول لها، فالإنسان في نظره لابد أن يخضع الى قوانين العالم الموضوعي القائم، وهو عليه أن يتجاوز خصوصية للوصول الى التأمل الكلي الكوني .

فإنَّ محدودية الحرية في راي هيغل تمثل التوفيق بين الاتجاهين الكلي والخاص، وهذا يتم من خلال الدولة، لأنها واقع الحرية الملموسة الموجودة في الدولة بفضل شرطين: (34)

1- اذا استطاع المواطن العاقل أن يجد في الدولة وسيلة ارضاء الرغبات والمصالح المعقولة، التي يستطيع بصفته كائناً مفكراً ان يجدها امام نفسه .

(34) شيزراد احمد نجار، دراسات في علم السياسة، ط1، دار دجلة عمان، 2005، ص 194 .

2- اذا امكن الاعتراف بعدالة قوانين الدولة من قبل كل الذين رفضوا العيش بحسب غريزتهم الطبيعية ، وكل الذين استوعبوا وفهموا، إنّ الانسان الطبيعي ليس حرا بالفعل، بل الكائن العاقل والكلي يستطيع ذلك وحده .

**عدّ هيغل الثورة الفرنسية هي
ضرورة تاريخية للوعي من اجل
بناء الحرية بالتوافق ما بين
الذات والعام**

ان التاريخ ما هو الا نمو وعي الحرية ، الذي يعبر عن نفسه في مؤسسات الثقافية والدينية لجماعة ما ، وهي روح الشعوب، والدليل على ذلك عدّ هيغل الثورة الفرنسية هي ضرورة تاريخية للوعي من اجل بناء الحرية بالتوافق ما بين الذات والعام وانسجامهما واسترداد الانسان والروح المغربة في العالم .⁽³⁵⁾ وعليه ان المجتمع والدولة ، هما شرطان اساسيان لتحقيق الحرية عبر الدولة الالمانية ، لأنها وعي روح العالم لذاته .

(35) محمد سعيد طالب ، مصدر سبق ذكره ، ص 181 .

طبيعة الحرية تتحقق عن طريق المحن والالام والصراعات ما بين الافراد، أما حدودها يرسمها المجتمع والدولة، من أجل كبح العواطف والنزوات غير المهذبة، لكي تستقيم الحياة الانسانية في مرحلة الحضارة ، التي تمثل الدوائر التالية (الفن - الدين - الفلسفة) حيث يشكل كل واحد منها جانباً من الحضارة .⁽³⁶⁾

(36) محمد حسين نصر ، مصدر سبق ذكره ، ص 102 .

ثانياً - تطبيق القانون من أجل تحقيق الحق: أساس الدولة من وجهة نظر هيغل هو القانون، الذي يحكم ويحدد حياة الفرد، لكن هذا لا يعني القانون الذي يصدره الحاكم بإرادته التعسفية، بل القانون الذي يتفق مع العقل لان مضمون القانون من وجهة نظر هيغل هو الحق.⁽³⁷⁾ يمر المجتمع المدني عند هيغل بثلاث مراحل:⁽³⁸⁾

(37) ميشيل متياس ، هيغل والديموقراطية ، ترجمة : امام عبد الفتاح ، ط 1 ، الدار الحداثة والطباعة والنشر ، لبنان ، 1990 ، ص 19.

1- نظام الحاجات: يقصد بها الاعتماد المتبادل للأفراد على بعضهم البعض في اشباع حاجاتهم ، وهذا يؤدي الى تقسيم العمل مكون طبقات اجتماعية ثلاث (طبقة المزارعين والفلاحين - طبقة التجار والصناع - طبقة الحاكمة) .

(38) امام عبد الفتاح ، المنهج الجدلي عند هيغل ، مجلد الاول في الدراسات ، المركز العربي للنشر والترجمة والدعاية ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996 ، ص 564 - 571 .

2- الهيئة القضائية : هي الاعتراف بالقوة الملزمة للحق، تكتسب خاصية القانون الايجابي، مهمتها وضع حد للخلافات بين الافراد .

3- الشرطة والنقابات: النقابة هي المؤسسة التي يكتسب الفرد بداخلها وعيا بوظيفته الكلية ، اما الشرطة فهي توفر الحماية لمصالح كل الاشخاص .

ثالثا- الحرب من أجل تحقيق القوة : الدولة من وجهة نظر هيجل هي

المطلق في التاريخ ، وفيها تكمن الارادة والسيادة المطلقة ، وهي في حالة صراع وتنافس مع بقية الدول الاخرى ، اعتماداً على جدل التاريخ الذي يفرض دائما غلبة حضارة ناشئة على حضارة هرمية . يعطي هيجل تبريرا فكريا عميقا للغريزة الكامنة

يعطي هيجل تبريرا فكريا عميقا للغريزة الكامنة داخل الانسان العنيف الراغب في جعل الحرب قانونا دائما للحياة الاجتماعية

داخل الانسان العنيف الراغب في جعل الحرب

قانونا دائما للحياة الاجتماعية ، لقد كان هيجل رغم مثالية يفترض ان المعارضة تشكل نابض الجدلية وشرط الاتحاد وصولا الى الحرب هي قانون دائم للعلاقات ما بين الدول.⁽³⁹⁾

(39) جان غيتون ، مصدر سبق ذكره، ص83- ص84.

فالحرب التي يعلن هيجل عن ضرورتها ليست الحرب الاستعمارية التوسعية ، لان هذا النوع من الحروب يؤدي الى قيام امبراطوريات تجمع شعوبا مختلفة ، وبالتالي تفقد الدولة وحدتها الذاتية وفرديتها الاصلية ، فضلا عن الامبراطوريات ليست هي التي يسعى اليها التاريخ.⁽⁴⁰⁾

(40) مهدي محفوظ ، مصدر سبق ذكره ، ص 230 .

يتحقق السلام من وجهة نظر هيجل من خلال الحرب ، وان الشعوب تخوض الحروب الا للانتقال الى سلم أرسخ من حالة الظلم السابقة، والحرب لا تقع الا عندما يرى هيجل بأنها (ضرورة جدلية)، ويمكن استبدالها بـ (الصراع الطبقي)، هو الأكثر دموية بين البشر والمحرك الأول للتاريخ ، كما أن العدو الطبقي أهم من العدو الخارجي .⁽⁴¹⁾

(41) جان غيتون ، مصدر سبق ذكره، ص85.

واخيرا يرفض هيجل الدعوة الى تنظيم علاقات الدول فيما بينها، لأن الدولة عنده مستقلة وحررة في علاقاتها مع بقية الدول، فضلا عن المعاهدات والاتفاقيات التي تجري بين الدول ليست الا تعاقدات

وقتها، لذلك فإنَّ الحروب تبقى دائماً المهيمنة على العالم ، لأنَّ في الحرب تحفظ الدولة كيائها وتؤمن استمرارها، كما أنَّها وسيلة للتأثير على الوعي والارادات في اطار نشاط اعلى وهي السياسة .

المحور الثالث

مراحل الدولة واشكال حكمها في فكر هيغل

إنَّ الدولة عند هيغل هي اعرق تعبيراً عن ولاء الفرد للجماعة ، لأنها تستوعب شتى الفئات الاجتماعية في المجتمع ، والدولة وهي تجسيد للسلطة السياسية ، التي تمارس سلطاتها التنظيمية في ظل صيغ قانونية لتحقيق كفاءة ادارية عالية، مع ايجاد نظام قضائي يوفر الأمن لحقوق الافراد وملكيتهم، فالمحور الثالث يختص بمراحل الدولة واشكالها في فكر هيغل في قسمين، الاول يختص بمراحل الدولة في فكر هيغل ، والثاني يختص بأشكال الدولة في فكر هيغل .

القسم الاول

مراحل الدولة في فكر هيغل

تمر الدولة في فكر هيغل بثلاث مراحل وهي :

1- الدستور: هو مجموعة من العادات والتقاليد والقواعد الحية داخل ذاكرة ووعي شعب ما، وهو بمثابة نظام داخلي في الحكم ، الذي يربط بين الدولة والمجتمع المدني والاسرة والفرد ، وتعمل الدولة على صيانة حقوق وحرريات المواطنين ، وحماية ممتلكاتهم ، عبر تطبيق مبدأ الفصل بين السلطات (السلطة التشريعية - السلطة التنفيذية- سلطة الملك)، السلطة التنفيذية تحتوي على سلطتين وهما (القضاء والشرطة)، والقائمين على السلطة التنفيذية وهم (الموظفين المدنيين التنفيذيين - الموظفين الاستشاريين الى جانب الملك) .⁽⁴²⁾

(42) امام عبد الفتاح ، المنهج الجدلي عند هيغل ، مصدر سبق ذكره ، ص 539 .

أما سلطة الملك هي فكرة منطقية شاملة تشمل الدستور والقوانين والمشورة، واللحظة التي ترد الجزئي الى الكلي ، واللحظة القرار النهائي ، بوصفه تعييناً للذات التي تعود اليها كل شيء اخر .⁽⁴³⁾ والسلطة التشريعية تعمل على تشريع قوانين وفق متطلبات

(43) المصدر نفسه ، ص 539 .

وحاجات الافراد ، عبر مجلس الطبقات (الذي يضم مندوبين عن اعضاء المجتمع المدن) بما يحقق المصلحة العامة ، واساس الدولة هو القانون، وغاية الدولة تنمية الحرية، والدولة تقوم على اساس العقل ضد النزوة والشهوة. (44)

2- القانون الدولي :

الدولة حسب تصور هيغل هي كائن حي، فهي وحدة مغلقة على نفسها تطور ميزاتها وتنمي حياتها داخل ذاتها، فهي فرد وليس تجمع محض، طبيعة

**الدولة حسب تصور هيغل
هي كائن حي، فهي وحدة
مغلقة على نفسها تطور
ميزاتها وتنمي حياتها داخل
ذاتها**

العلاقة بينها وبين الدول تشبه العلاقة بين الشخصيات الفردية في المجتمع المدني، السمة الخاصة بكل دولة هي استقلالها. (45)

يصف هيغل حالة السلام بالوهم لا يمكن تحقيقه قائلاً: (حلم السلام الدائم)، وهنا لا يقصد تمجيد الحرب، او الدعوة اليها ، لأنّ الحرب هي احدى الظواهر البشرية التي لازمت الانسان منذ فجر التاريخ حتى الآن. (46)

وخير دليل على ذلك كان هيغل ينظر الى الحرب في كتابه (فلسفة الحق) عام 1821 بجانبين: (47)

1- علاقة الفرد بالدولة اثناء الحرب، بوصفها وسيلة تدفع المواطنين الى التلاحم والتضامن .

2- علاقة الدولة بغيرها من الدول (القانون الدولي)، (يكون ملزماً إلا بمقدار ما تتعهد الاطراف المعنية باحترامه، والعمل بمقتضاه مع العلم عدم وجود محاكم ترغم الدول على تنفيذ الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقدها .

ينبع القانون الدولي من علاقات الدول المستقلة استقلالاً ذاتياً ، والشعب هو روح الدولة ، وعلاقة كل دولة مع غيرها سيادة. (48)

3- تاريخ العالم : حسب فلسفة هيغل فقد عدّ العالم في تطور دائم، وتغير ديناميكي مستمر ، وهذا التطور يشكل امراً طبيعياً وضرورياً لعدم الوقوع في الجمود والفناء .

التاريخ بالنسبة لتصور هيغل ، هو قصة تطور وعي بالحرية

(44) شيزراد احمد نجار ، مصدر سبق ذكره ، ص 194 .

(45) امام عبد الفتاح ، هيجلية، مصدر سبق ذكره ، ص 588 .

(46) امام عبد الفتاح ، المنهج الجدلي عند هيغل ، مصدر سبق ذكره ، ص 623 .

(47) المصدر نفسه ، ص 653.

(48) هيغل ، اصول فلسفة الحق ، مصدر سبق ذكره ، ص 594.

وتزايدها، فكلما تقدم التاريخ عبر الزمن كان الوعي بالحرية يزداد ، وبالتالي يزداد عدد من يتمتع بها .⁽⁴⁹⁾

(49) مهدي محفوظ ، مصدر سبق ذكره ، ص 225.

تاريخ العالم من وجهة نظر هيغل، الدول مرتبطة مع بعضها البعض، وكل دولة تجسد مرحلة جزئية من الفكرة الكلية، والفكرة نفسها في التاريخ في مراحل مختلفة من الزمان، والمرحلة السائدة في حقبة من الحقب يجسدها التاريخ، هو تطور عاقل، وعند بروز الفكرة في التاريخ العالم، فأنها تشكل ما يسمى بروح العالم وهي بمثابة محكمة عالمية تصدر احكامها على الشعوب، والحكم عليها انما يوجد في المصير الذي ينتظرها في مسار تاريخ العالم .⁽⁵⁰⁾

(50) امام عبد الفتاح ، هيغليات، مصدر سبق ذكره ، ص 590 .

وعلى هذا الاساس قسم هيغل التاريخ على اربعة مراحل هي :⁽⁵¹⁾

1- العالم الشرقي (تكون الحكومة ثيوقراطية ، الحاكم هو الكاهن، الدستور والتشريع هو الدين)

(51) مهدي محفوظ ، مصدر سبق ذكره ، ص 225 .

2- العالم اليوناني (يملك الوحدة الجوهرية، حيث ينقسم الكل على مجموعات جزئية لروح الامة، ويعزى القرار النهائي الى سلطة أعلى موجودة خارجها، واشباع الحاجات الجزئية توجه الى طبقة العبيد).

3- العالم الروماني (بدأت الروح تدرك نفسها، وتحقق حريتها ، لكن دون أن تبلغ الكمال ، لتمتع طبقة الأحرار فقط بالحرية دون غيرها)

4- العالم الجرمانى (هو التحقق العقلي للروح بكل مجالها الداخلي والخارجي ، ومرحلة تطور الوعي من مرحلة الجينية الكامنة الى الازدهار في الحياة الاخلاقية ، ليصل الى حرية الوعي الذاتي الثاني فترة انحطاطها وتدهورها ، عندها تنتقل الروح الى مبدأ جديد، وهكذا تتكون أمة اخرى تحمل مغزى تاريخ العالم).⁽⁵²⁾

(52) هيغل ، مصدر سبق ذكره ، ص 602- ص 603 .

في تصور هيغل ، ان التاريخ الاوربي يبلغ الذروة في وصول المانيا (روح العالم الجرمانى التي تدرك مبدأ الوحدة الطبيعية [الالهية والبشرية]) الى مركز الزعامة الروحية في الحضارة الاوربية ، وهنا

ليس بمعنى السيطرة بالقوة ،وانما بهدف تحقيق غاية الدولة الوطنية القومية .

القسم الثاني

اشكال حكم الدولة في فكر هيغل

ان هيغل لم يقصد بفكرته عن الدولة المقدسة والزعيم المطلق، تقديم سند فلسفي لطغيان الحاكم واستبداده ، وإنما أراد أن يقدم دولة قوية ، لأنها تمثل عنده تجسيد لإرادة الروح المطلق يحكمها (زعيم قوي)، يستمد قوته من كونه المعبر عن ارادة الروح المطلق في ظل قانون عادل يتفق مع العقل ويحقق الحق.⁽⁵³⁾

وهذا ما يفسر تفضيل هيغل للنظام الملكي الدستوري ، لأنه النظام الطبيعي الذي يجسد الدولة، والفكرة القومية في زعيم واحد ، يجسد سلطان الدولة ورمز تقاليدھا ، ويمثل الإرادة الكلية المتجسدة في الارادة الشخصية .

الاسباب التي تقف وراء هذا التفضيل هي:⁽⁵⁴⁾

- 1- واقع النظام الملكي البروسي .
- 2- قدرة النظام الملكي البروسي على أن يكون وريثا حقيقيا لنظام نابليون .

3- طبيعة منطق الجدلي المستوحى من جدل (ارسطو) ، بشأن توالي الأنظمة السياسية .

4- قدرة النظام الملكي الوراثي على أن يكون رد فعل ايجابي على سلبات نظام الحكم الجمهوري .

5- قدرة النظام الملكي الوراثي على تجسيد صورة الرجل العظيم .

يؤكد هيغل حسب تصوره ، أن (الارادة العامة) لا يمكن أن تظهر الا بعد التسوية النهائية للعدوات الاجتماعية ، ف(الارادة العامة) هي نتيجة الدولة وليس اصلها، واصل الدولة يرجع الى قوة خارجية تقسر الافراد رغما عن ارادتهم ، وعلى ذلك فان الدولة بكليتها مبنية بفضل القوة المجيدة لرجال عظام.⁽⁵⁵⁾

وفق اعتقاد هيغل ان الشعب، هو ذلك الجزء من الدولة الذي لا

(53) اسامة احمد العادلي، الاسهامات الميتافيزيقية في الفكر السيسي بين « الترف الذهني » والاهمية العلمية والواقعية (روية نقدية لفكر افلاطون وهيغل) .
www.faculty.edu/ELALY/pags/ser.aspx

(54) عبد الرضا حسين الطعان ، عامر حسن فياض و علي عباس مراد ، مصدر سبق ذكره ، ص 141.

(55) عبد الرضا حسين الطعان ، مصدر سبق ذكره، ص 527 - ص 528.

يعرف ما يريد، وتكون مواقفه وسلوكياته فطرية وخالية من العقل، بقدر ما هي عنيفة وقطيعة، ربما لذلك كان يحرص على وجود قبضة قوية تحكم الكتل الجماهيرية. (56)

رغم النجاح الذي لاقته فلسفته لدى الجمهور الألماني المثقف بعد عام 1820، لكن لم يكن له تلاميذ أوفياء، نتيجة وجود التباسات

وازدواجية في منهاجه) أدى إلى انقسام المفكرين إلى تيارين على الصعيد السياسي (تيار محافظ) تمسك بفلسفة هيغل المثالية (وتيار يساري بقيادة كارل ماركس، والذي أدى إلى الماركسية، نتيجة استبعاده من نظرية هيغل، دعوى الشعوب هي وحدات التاريخ الاجتماعي، ليحل محلها صراع الطبقات الاجتماعية محل صراع الشعوب.

نخلص مما تقدم اعتماد هيغل على مبدأ الكلية، والذي انتهى إلى تمجيد الدولة، لكونها تمثل الكلية التي منحت الهيمنة الكاملة على الأفراد، كبديل عن حالة فوضى الإرادات الفردية المنعزلة لتتطابق في شكل حكمها مع النظام الملكي الوراثي.

الخاتمة

الدولة هي الروح الأخلاقي من حيث إرادة جوهرية تتجلى وتظهر، وتعرف الدولة على نحو غير مباشر في الوعي الذاتي للفرد ومعرفة نشاطه، والمحصلة النهائية للفرد هي الحرية الجوهرية.

كما أنها تعني ذلك التجمع الذي يربط المجتمع المدني والدولة معاً، والهدف منه تحقيق الأمن وحماية الملكية الخاصة والحرية الشخصية، وتحقيق الدولة وأهدافها عندما تكون العلاقة بين الفرد والدولة بعيدة عن المصلحة، علماً أن هيغل يعالجها من جانب العلم الفلسفي للدولة، أما الجانب الواقعي للدولة، فهي الوحدة في الاختلاف للمبدأ الكلي للأسرة والمبدأ الجزئي للمجتمع المدني يتكون نتيجة تفكك الأسرة، حيث يصبح أعضاؤها أشخاصاً مستقلين بوصفهم أعضاء في الدولة.

(56) عبد الرضا حسين الطعان،
عامر حسن فياض و علي عباس
مراد، مصدر سبق ذكره، ص
143.

- جورج سباين، تطور الفكر
السياسي، الكتاب الخامس،
مصدر سبق ذكره، ص 991.

**وفق اعتقاد هيغل ان الشعب،
هو ذلك الجزء من الدولة الذي لا
يعرف ما يريد وتكون مواقفه
وسلوكياته فطرية وخالية من
العقل**

مراحل تكون الدولة في فكر هيغل هي الدستور والقانون الدولي وتاريخ العالم ، ويعد الدستور بمثابة النظام الداخلي للحكم ، والذي يربط الدولة والمجتمع المدني والأسرة والفرد، ونتيجة ذلك ينمو الشعور الوطني عند المواطنين ، ويتناول موضوع الفصل بين السلطات (السلطة التشريعية - السلطة التنفيذية - سلطة الملك) ليس بمعنى الفصل المطلق التام، وإنما يكون الفصل تمايزاً ، أما القانون الدولي فيتضمن علاقة الدولة مع غيرها من الدول ، حيث يكون ملزماً إلا بمقدار ما تتعهد الأطراف المعنية باحترامه والعمل بمقتضاه مع العلم عدم وجود محاكم ترغم الدول على تنفيذ الاتفاقيات والمعاهدات التي تعقدها، أما تاريخ العالم بمعنى روح العالم ، وهي محكمة تصدر أحكامها على الشعوب والحكم عليها إنما يوجد في المصير الذي ينظرها في مسار تاريخ العالم ، المناطق الرئيسية لتاريخ العالم هي (العالم الشرقي - العالم اليوناني - العالم الروماني - العالم الجرمانى) .

بخصوص الإجابة عن التساؤل المقدم عن هذه الدراسة ، اتسمت فلسفة هيغل السياسية عن الدولة بالكليانية (الشمولية)، وهي رد فعل فلسفي على الواقع التاريخي الذي ساد لعصور طويلة، حيث يسوده الشقاق بين الأفراد والجماعات المتعارضة لاسيما عندما ارتفعت في العصر الحديث شعارات الحرية العامة .

شكل حكم الدولة عند هيغل هو نظام ملكي وراثي ، لأنه يحقق اندماجاً حقيقياً للأفراد في الكل الذي تمثله الدولة ، فشخص الملك يمثل الكل ، وهو يرتفع فوق مستوى المصالح كلها ، فهو يحكم في الطبيعة دون أن يتأثر بالعداوات الموجودة في المجتمع ، وهذا ما يفسر إعجابه المفرط بنابليون ، الذي جعل من الأمة الفرنسية المنصهرة في بودقة الثورة دولة .

الدولة في فكر هيغل لها وظائف، وهي تحقيق الحرية (يقصد بها المساواة بين الناس بوصفهم أفراد من المجتمع المدني والمساواة

في الحقوق وتطبيق القانون الدستوري (يقصد به القانون الذي يحكم ويحدد حياة الفرد الذي يتفق مع العقل بغية تحقيق الحق) ويتم من خلال مؤسسات سياسية مثل المحاكم والشرطة التي توجد في الدولة ، وشروط القانون الدستوري ، أن يكون معبرا عن ارادة الشعب وعاداته وقيمه واهتماماته ، وتحقيق الحق والحرب من وجهة نظر هيغل ، أن الشعوب تخوض الحروب للانتقال الى حالة اسمى وهي السلام .

الاستنتاجات

- 1- الدولة في فكر هيغل هي تجسيد لطبيعة الروح المطلق المتحكمة في الطبيعة والمجتمع .
- 2- الدولة في فكر هيغل تنطلق من فلسفة الجدلية ، والتي مفادها هي ازدواج متلازم لفكرة الحركة مع المتناقضات معا .
- 3- نشوء الدولة في فكر هيغل ، جاء نتيجة تفسيره لتطور المجتمعات ، حيث اعتقد هيغل أن الأسرة ، هي المؤسسة الاجتماعية الاولى من حيث الظهور التاريخي ، ثم بعامل التطور والجدلية ظهرت الصورة الثانية ، والتي تمثلت في المجتمع المدني ، حيث تطور الآخر - بفعل الجدلية - ليصل الى صورة النهائية ، وهي الدولة والتي تمثل عند فكر هيغل تطور الروح المطلق .
- 4- الدولة هي تعبير عن المرحلة النهائية لتطور الروح المطلق ، فلا بد أن تكون مقدسة ، والتي لعبت دورا مؤثرا في تاريخ الالمانى المعاصر ، المتجسدة في تعظيم شخص الزعيم كونه مقدس ، وهذا ما يفسر التفاف الشعب الالمانى خلف هتلر .
- 5- الدولة في فكر هيغل جاءت لتعكس صورة الزعيم المطلق ، حيث يرى هيغل أن الزعيم ، هو الذي يعبر عن ارادة الروح المطلق ، وعليه فسلطته لا بد أن تكون مطلقة بغير قيد ، علما أن أساس الدولة عنده هي القانون المجسدة لصورة (الحق المطلق) .

قائمة المصادر

المعاجم والموسوعات

- محمد فواد عبد الباقي ، معجم الفاظ القرآن الكريم ، مج 1، ط1، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970 .
الكتب :

1. احمد باقر الصدر ، فلسفتنا ، ط4، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي ، 2008 .
2. امام عبد الفتاح ، المنهج الجدلي عند هيغل ، مجلد الاول في الدراسات ، المركز العربي للنشر والترجمة والدعاية ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1996.
3. امام عبد الفتاح ، هيجليات ، مجلد 2 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1996 .
4. اندريه هوريو ، القانون الدستوري والمؤسسات السياسية ، ترجمة : علي مقلد وشقيق حداد وعبد الحسن سعد ، ج2، ط2، بيروت ، الاهلية للنشر والتوزيع ، 1977.
5. جان توشيار ، تاريخ الفكر السياسي ، ترجمة : علي مقلد ، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، 1987.
6. جان غيتون ، الفكر والحرب ، ترجمة : المقدم الهيثم الايوبي ، اكرم ديري ، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بناية برج الكارتون - ساقية الجنزير - 1980 .
7. جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، الكتاب الخامس ، ترجمة : راشد البراوي ، دار المعارف ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، نيويورك ، 1976.
8. جورج سباين ، تطور الفكر السياسي ، كتاب الرابع ، ترجمة : علي ابراهيم السيد ، دار المعارف ، القاهرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، نيويورك ، 1971.
9. سيزار احمد النجار : دراسات في علم السياسة، دار دجلة ، عمان، 2005..

10. شيزراد احمد نجار ، دراسات في علم السياسة ، ط 1 ، دار دجلة عمان ، 2005 .
11. عادل زغبوب ، الدولة الاتحادي (مفهومها - تحليلها - مستقبلها)، ط1، دار المسيرة للطباعة والنشر ، لبنان ، 1979.
12. عامر حسن فياض ، المجتمع المدني وديمقراطية التنمية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، العراق ، 2009 .
13. عبد الرضا حسين الطعان ، عامر حسن فياض و علي عباس مراد ، مدخل الى الفكر السياسي الغربي الحديث والمعاصر ، ج1.
14. عبد الرضا حسين الطعان ، تاريخ الفكر السياسي الحديث ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، بغداد ، 1992.
15. عبد الرضا حسين الطعان ، تاريخ الفكر السياسي الحديث ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد .
16. عبد الوهاب حميد رشيد ، التحول الديمقراطي والمجتمع المدني ، ط1، دار المدى للثقافة والنشر ، 2003.
17. محمد الشيخ ، فلسفة الحداثة في فكر هيغل ، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، لبنان، 2008 .
18. محمد حسين نصر ، مفهوم الحضارة عند ابن خلدون وهيغل) دراسة مقارنة (، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، 1993 .
19. محمد سعيد طالب ، الدولة الحديثة والبحث عن الهوية ، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع ، رام الله ، 1999.
20. مهدي محفوظ ، اتجاهات الفكر السياسي في العصر الحديث ، ط3، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، 2007 .
21. ميشيل متياس ، هيغل والديموقراطية ، ترجمة : امام عبد الفتاح ، ط1 ، الدار الحداثة والطباعة والنشر ، لبنان ، 1990 .
22. هيغل ، اصول فلسفة الحق ، ترجمة : امام عبد الفتاح ، ج1، مكتبة

مدبولي ، القاهرة ، 1966.

الاطاريح :

- حميد فاضل حسن التميمي ، الدولة اليهودية في الفكر الاسرائيلي ،
اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، جامعة بغداد كلية العلوم السياسية ، 2004.

المجلات والدوريات :

- فتحي التريكي : مفهوم الدولة في الحقل الفلسفي المعاصر ، مجلة
الفكر العربي المعاصر ، مركز الانماء القومي ، بيروت ، العدد 24 ، 1983 .
المواقع الالكترونية :

1. اسامة احمد العادلي ، الاسهامات الميتافيزيقية في الفكر السيسي
بين « الترف الذهني » والاهمية العلمية والواقعية (روية نقدية لفكر
افلاطون وهيجل).

2. www.faculty.edu/ELALY/pags/ser.aspx.